شـــرح

ثلاثـة الأصـول

تأليف

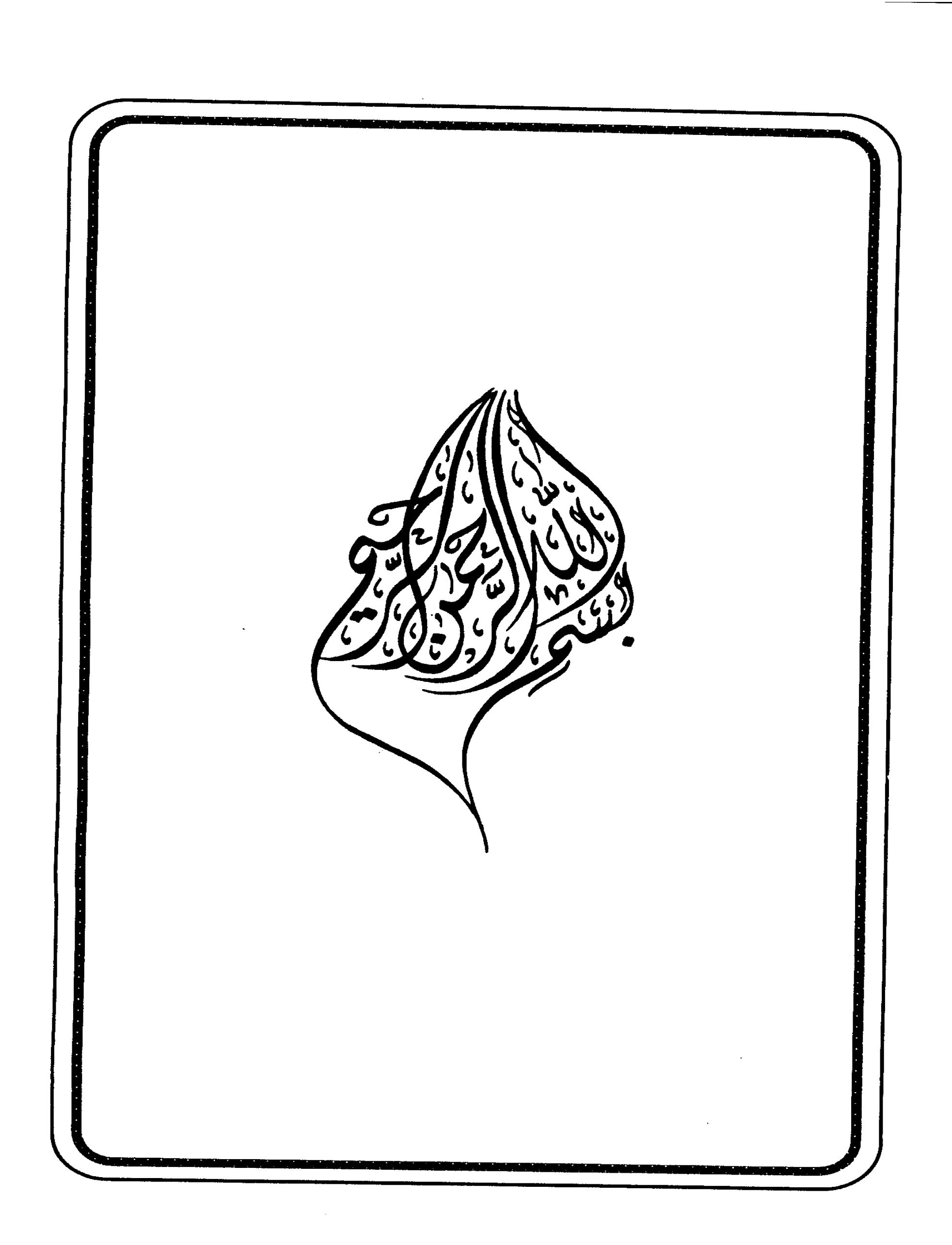
سماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

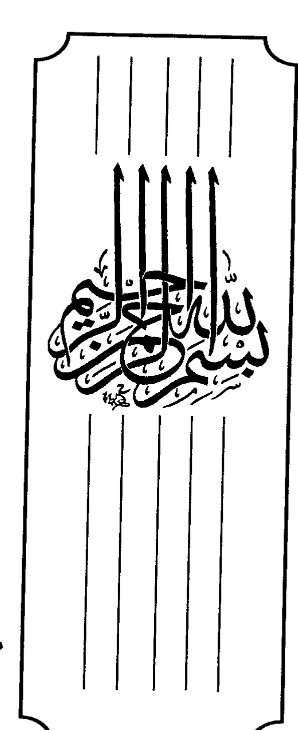
طبعة مخرجة الأحاديث

مكتبة الفرقان

لأبي عبد المصور محمد عبد الله


بسم الله الرحمن الرحيم

شرح ثلاثة الأصول



الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٤٧١٨ /٢٠٠٦

مكتبة الفرقان

لأبي عبد المصور محمد عبد الله

القاهرة

مساكن عين شمس – ش مسجد الهدي المحمدي

ت: ٢٩٤٠١٦٣ فاكس: ٢٩٦٧٢١٥

محمول: ٠١٠٥٦١٨١٧٩

E_mail: abdel_m2005@yahoo.com

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فإنه لما كانت معرفة العقيدة والتوحيد هي أهم الواجبات في هذا الدين - فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ...﴾ [محمد: ١٩] الآية – كان لزامًا علىٰ العلماء والدعاة أن يولوا هذا الجانب أكبر الاهتمام وتتوجه إليه معظم الجهود.

وبعد: فهذا المؤلَّف الذي بين أيدينا «**ثلاثة الأصول**» لفضيلة الإمام شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وشرحه لفضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز هو من ضمن هذه الجهود التي وجهت لهذا الجانب العظيم من الدين، وثلاثة الأصول هي رسالة بسيطة عظيمة النفع، مضمونها: الإجابة عن سؤال الملكين «منكر ونكير» للعبد عندما يدخل قبره: «**فيقعدانه فيسألانه: من ربك ... ما دينك ... من النبي الذي بعث فيكم...**» فاقرأها

وافهمها جيدًا أخي المسلم عسىٰ أن يثبتك الله في هذا الموقف العصيب، فنسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ..... آمين.

وكان عملنا في الكتاب كما يلي:

١- عزو الأحاديث - ما كان منها في الصحيحين - إلىٰ مواضعها في الصحيحين أو أحدهما.

٢- ما لم يكن في الصحيحين أو أحدهما عزوناه إلىٰ موضعه في السنن والمسانيد وأوردنا حكم العلامة الألباني رحمه الله عليه.

٣- ما لم نجد للعلامة الألباني حكم عليه اكتفينا بعزوه إلىٰ موضعه في السنن والمسانيد وأوردنا أقوال أهل العلم والمحققين عليه ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا.

ونسأل الله عز وجل الصفح والغفران عما وقع من خطأ أو تقصير أو نسيان إنه غفور رحيم.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.



ترجمة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

هو فضيلة الشيخ العلامة الفقيه عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز، مفتي المملكة العربية السعودية سابقًا، رحمه الله تعالىٰ.

مولده ونشأته:

ولد رحمه الله ببلدة الرياض عاصمة نجد في ذي الحجة عام ١٣٣٠ هـ، ونشأ من أول عمره في طلب العلم وفي أسرة كريمة محبة للعلم وأهله، فبدأ دراسته بحفظ القرآن الكريم فحفظه قبل البلوغ ثم تلقىٰ العلوم الشرعية والعربية عن علماء الرياض.

ومن أجل مشايخه:

* الشيخ العلامة محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ.
* والشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ قاضي الرياض سابقًا.
* والشيخ سعد بن حمد بن عتيق من آل عتيق قاضي الرياض سابقًا.
* والشيخ حمد بن فارس وكيل بيت المال سابقًا.
* والشيخ سعد وقاص البخاري بمكة المكرمة أخذ عليه التجويد خاصة.
* وسماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالىٰ، وهو الذي درس عليه جميع الدروس وكان له الحظ الأوفر في تحقيق العلوم علىٰ يديه، فقد لازم درسه نحو عشر سنوات حيث بدأ الدراسة علىٰ سماحته ابتداء من عام ١٣٤٧ هـ إلىٰ عام ١٣٥٧ هـ لىٰ أن رشحه سماحته إلىٰ القضاء.

وقد كانت دراسة الشيخ رحمه الله تعالىٰ علىٰ سماحة المفتي دراسة لها نظامها الخاص، وهو نظام التدرج والبداءة بالأهم. فأولًا بدأ بدراسة العقائد وابتدأها بالأصول الثلاثة، ثم كشف الشبهات، ثم كتاب التوحيد، ثم العقيدة الواسطية، وهكذا في الفقه بالتدرج في المتون وكذلك الفرائض قرأها مرارًا، وكذلك في النحو في الآجرومية، ثم الملحة، ثم القطر ... الخ.

يعد فضيلته من كبار العلماء المجتهدين في العصر الحديث، حيث يسر الله له من العلوم في العربية ما يمكنه من النظر الكافي في العلوم الدينية، وقد كرس جهوده لأول وهلة في علوم الشريعة خاصة الفقه على مذهب الحنابلة، ثم أولى الحديث عنايته التامة متنًا وسندًا، وكذلك علوم القرآن الكريم مما جعل فضيلته يعد في علماء العالم الإسلامي المبرزين، جزاهم الله خيرًا أجمعين.

ومن مؤلفاته:

* الفوائد الجلية في المباحث الفرضية.
* نقد القومية العربية.
* توضيح المناسك.
* رسالة في نكاح الشغار.
* الجواب المفيد في حكم التصوير.
* رسالة في التبرج والحجاب.

وغيره الكثير، نفع الله بعلمه ... آمين.

ولقد كان مفضالًا رحمه الله كثير الإحسان إلى المسلمين كما يحكى عنه في ذلك من مواقف جليلة، كثير النصح لله ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وكان جوادًا كريمًا رحمه الله، أحبه الناس وأقبلوا عليه، واستفاد منه الكثير، وهدى الله على يديه العباد، فنسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يجزيه خيرًا على ما قدم في خدمة هذا الدين.

وفاته رحمه الله:

توفي رحمه الله تعالى في شهر المحرم من سنة ١٤٢٠ من الهجرة النبوية، وفقدت الأمة بذلك عمودًا من أعمدة العلم والدين والصلاح والإصلاح في هذا الزمان، فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى من جناته ... آمين.



ترجمة شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

* **نسبه:**

هو الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد ابن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من أوهبة بني تيم.

* **مولده:**

ولد هذا العالم في بلدة العيينة سنة ١١١٥ هجرية في بيت علم وشرف ودين، فأبوه عالم كبير، وجده سليمان عالم نجد في زمانه.

* **نشأته:**

حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين، ودرس في الفقه حتىٰ نال حظًّا وافرًا وكان موضع الإعجاب من والده لقوة حفظه، وكان كثير المطالعة في كتب التفاسير والحديث، وجدَّ في طلب العلم ليلًا ونهارًا، فكان يحفظ المتون العلمية في شتىٰ الفنون، ورحل في طلب العلم في ضواحي نجد وفي مكة وقرأ علىٰ علمائها، ثم رحل إلىٰ المدينة النبوية فقرأ علىٰ علمائها، ومنهم العلامة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الشمري، كما قرأ علىٰ ابنه الفرضي الشهير إبراهيم بن الشمري مؤلف العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض وعرفاه بالمحدث الشهير محمد حياة السندي فقرأ عليه في علم الحديث ورجاله وأجازه بالأمهات. وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قد وهبه الله فهمًا ثاقباً وذكاءً مفرطاً وأكب علىٰ المطالعة والبحث، والتأليف وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث وكان لا يسأم من الكتابة وقد خط كتبًا كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم – رحمهما الله – ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة بالمتاحف.

ولما توفي والده سنة ١١٥٣ هـ أخذ يعلن جهرًا بالدعوة السلفية إلىٰ توحيد الله وإنكار المنكر ويهاجم المبتدعة أهل القبور (الأوثان والأصنام)، وقد شد أزره الولاة من آل سعود وقويت شوكته وذاع خبره.

*** مؤلفاته:**

وله – رحمه الله تعالىٰ – مؤلفات نافعة نذكر منها: الكتاب الجليل المفيد المسمىٰ: كتاب التوحيد، وقد طبع أكثر من ألف طبعة كلما نفدت طبعة أعيد طبعه.

١ – كتاب «كشف الشبهات».

٢ – كتاب «الكبائر».

٣ – كتاب «ثلاثة الأصول».

٤ – كتاب «مختصر الإنصاف والشرح الكبير».

٥ – كتاب «مختصر زاد المعاد».

٦ – وله فتاوىٰ ورسائل جمعت باسم مجموعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود.

*** وفاته:**

وقد توفي رحمه الله تعالىٰ عام ١٢٠٦ هـ فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



بسم الله الرحمن الرحيم

ثلاثة الأصول(*):

اعلمْ -رحمكَ اللهُ- أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ(**):

الأُولىٰ: العِلْمُ(***)؛ وهوَ معرفةُ الله، ....

(*) هذه رسالة مهمة في العقيدة ألفها الشيخ أبو عبد الله الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي الإمام المشهور، المجدد لما اندرس من معالم الإسلام في النصف الثاني من القرن الثاني عشر رحمه الله وأكرم مثواه. وقد كان رحمه الله يلقن الطلبة والعامة هذه الأصول ليدرسوها ويحفظوها ولتستقر في قلوبهم لكونها قاعدة في العقيدة. وكانت وفاته سنة ست ومائتين وألف من الهجرة. وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة، فقد عُمِّر إحدىٰ وتسعين سنة. وقد كان عمرًا مليئًا بالخير والدعوة إلىٰ الله والتعليم والإرشاد والصبر علىٰ ذلك. وقد أنقذ الله به العباد والبلاد في زمانه في هذه الجزيرة، وانتشرت دعوته في غير الجزيرة من الشام ومصر والعراق والهند وغيرها، بسبب الدعاة الذين حملوا عنه العلم وانتقلوا إلىٰ تلك البلدان والدول. وبسبب المكاتيب والكتب التي انتشرت منه رحمه الله ومن أتباعه وأنصاره والدعاة التابعين له في الدعوة إلىٰ الله.

(**) هذه المسائل يجب أن يتعلمها المؤمن والمؤمنة صغارًا وكبارًا.

(***) فعلىٰ الإنسان أن يتعلم ويتبصر حتىٰ يكون علىٰ بينة ويعرف دين الله الذي خلق من أجله، وهذا العلم هو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، فهذا أول شيء. أن يتبصر العبد. من هو ربه؟... فيعرف أن ربه الخالق الذي خلقه، ورزقه، وأسدىٰ إليه النعم، وخلق مَن قبله، ويخلق مَن بعده، هو رب العالمين وأنه الإله الحق المعبود الذي لا يستحق العبادة سواه أبدًا، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا جن،

.... ومعرفةُ نبيِّهِ(*)، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ.

الثانيةُ: العملُ بهِ(**).

ولا إنس، ولا صنم، ولا غير ذلك. بل العبادة حق لله وحده، فهو المعبود بحق، وهو المستحق بأن يعبد، وهو رب العالمين، وهو ربك وخالقك وإلهك الحق سبحانه وتعالىٰ. فتعرف هذه المسألة الأولىٰ وهي أن تعرف ربك ونبيك ودينك بالأدلة. قال الله وقال الرسول، لا بالرأي ولا بقول فلان، بل بالأدلة من الآيات والأحاديث، وذلك هو دين الإسلام الذي أنت مأمور بالدخول فيه، والالتزام به. وهو عبادة الله الذي قال فيها سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. هذه العبادة هي الإسلام، وهي طاعة الله ورسوله، والقيام بأمر الله وترك محارمه. هذه هي العبادة التي خُلِقَ الناس لأجلها وأمر الله بها الناس في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] يعني: اعبدوه بطاعة أوامره واجتناب نواهيه وإسلام الوجه له وتخصيصه بالعبادة سبحانه وتعالىٰ.

(*) ومن ذلك أن تعرف نبيك، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي المكي ثم المدني، عليه الصلاة والسلام، فتعرف أنه نبيك وأن الله أرسله إليك بدين الحق يعلمك ويرشدك فتؤمن بأنه رسول الله حقًّا وأن الله أرسله للعالمين جميعًا من الجن والإنس، وأن الواجب اتباعه، والسير علىٰ منهاجه. وسيأتي تفصيل هذا في الأصل الثالث من الأصول الثلاثة.

(**) أي: أن تعمل بهذا الدين من صلاة وصوم وجهاد وحج وإيمان وتقوىٰ، فتعمل بالإسلام لأنك مخلوق له، مخلوق لعبادة الله فعليك أن تعلم وتعمل به فتعبد الله وحده، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وتأمر بالمعروف، وتنهىٰ عن المنكر، وتبر والديك، وتصل الأرحام، إلىٰ غير ذلك فتعمل بما أمرك الله به، وتنتهي عما نهاك الله عنه، وتترك المعاصي التي أنت منهي عنها، وتفعل الواجبات التي أنت مأمور بها.

الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ(*).

الرابعةُ: الصبرُ علىٰ الأذىٰ فيهِ(**).

(*) **أي**: أن تدعو إلىٰ هذا الدين، فتنصح الناس بأن يستقيموا عليه، وترشدهم وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر. هذه هي الدعوة إلىٰ دين الإسلام. فعلىٰ كل مسلم أن يدعو إلىٰ الله حسب طاقته وعلمه فكل واحد – رجل أو امرأة– عليه قسط من هذا الواجب من التبليغ والدعوة والإرشاد والنصيحة.

وأن يدعو إلىٰ توحيد الله، وإلىٰ الصلاة والمحافظة عليها، وإلىٰ الزكاة وأدائها، وإلىٰ صوم رمضان، وحج البيت مع الاستطاعة، وإلىٰ بر الوالدين، وصلة الأرحام، وترك المعاصي كلها.

(**)**أي**: يصبر علىٰ الأذىٰ في هذه الأشياء، فقد يحصل للإنسان أذىٰ، قد يتعب من المدعو أو غيره، من أهله أو غيرهم، فالواجب الصبر واحتساب الأجر عند الله. فالمؤمن يصبر علىٰ إيمانه بالله، ويصبر علىٰ العمل بما أوجب الله عليه، وترك ما حرم الله عليه، ويصبر في الدعوة إلىٰ الله، والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلا بد من الصبر في هذه الأمور كلها. فالدين كله يحتاج إلىٰ صبر. صبر علىٰ دعوة الله وحده، وصبر علىٰ أن تصلي، وتزكي، وتصوم، وتحج، وتأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر. وصبر عن المحارم والسيئات فتحذر من قربها فالإنسان إذا لم يصبر وقع فيما حرم الله عليه، أو ترك ما أوجب الله عليه.

ولهذا قال تعالىٰ لرسوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وقال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]. وقال تعالىٰ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

يعني اصبروا علىٰ طاعة الله وترك معصيته. واحذروا مخالفة أمره وارتكاب نهيه.

والدليلُ(*) **قولُه تعالىٰ**: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

(*) وهذا هو الدليل علىٰ هذه المسائل الأربع. ففي هذه السورة العظيمة الحجة لهذه الأمور وهذا هو الدين كله. فالدين كله إيمان وعمل ودعوة وصبر. إيمان بالحق وعمل به ودعوة إليه وصبر علىٰ الأذىٰ فيه والناس كلهم في خسارة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣] الآية. أي الذين استثناهم الله فجميع بني آدم في خسران وعلىٰ طريق الهلاك إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر. فهؤلاء هم الرابحون، وهم السعداء. وقد أقسم الله علىٰ هذا بقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ [العصر:١] وهو الصادق سبحانه وتعالىٰ وإن لم يقسم، ولكن أقسم لتأكيد المقام. والله سبحانه وتعالىٰ يقسم بما شاء من خلقه. فلا أحد يتحجر عليه، فأقسم بالسماء ذات البروج وأقسم بالسماء والطارق و بالضحىٰ وبالشمس وضحاها وبالليل إذا يغشي وبالنازعات. وغير ذلك. لأن المخلوقات تدل علىٰ عظمته، وعلىٰ أنه سبحانه هو المستحق للعبادة ولبيان عظم شأن هذه المخلوقات التي تدل علىٰ وحدانيته وأنه المستحق للعبادة وحده. وأما المخلوق فليس له أن يقسم إلا بربه. فلا يقسم ولا يحلف إلا بالله ولا يجوز له أن يحلف بالأنبياء، ولا بالأصنام، ولا بالصالحين، ولا بالأمانة، ولا بالكعبة، ولا بغيرها. هذا هو الواجب علىٰ المسلم لقول النبي ﷺ: «**من حلف بشيء دون الله فقد أشرك**»[1] أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح.

----

(١) رواه بنحوه أبو داود في سننه (٣٢٥١)، وكذا الترمذي في سننه (١٥٣٥)، ورواه بلفظه: أحمد في المسند (٣٢٩)، والحاكم في المستدرك (١٦٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٥٩٢٦) كلهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٠٤٢).

قالَ الشافعيُّ(*) رحمَهُ اللهُ تعالَىٰ: لوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إلاَّ هذِه السُّورَة لَكَفَتْهُمْ(**).

وقال البخاريُّ(***) رحمَهُ اللهُ تعالىٰ: بابٌ العلمُ قبلَ القولِ والعملِ والدليلُ قولُه تعالَىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»(١).

فالواجب علىٰ كل مسلم ومسلمة الحذر من الحلف بغير الله، وأن تكون أيمانهم كلها بالله وحده سبحانه وتعالىٰ.

(*) **الشافعي:** هو الإمام المشهور، أحد العلماء الكبار، وأحد الأئمة الأربعة، وهو محمد بن إدريس الشافعي المطلبي، المولود سنة خمسين ومائة وتوفي سنة أربع ومائتين.

(**) **يقول رحمه الله:** لو ما أنزل الله حجة علىٰ خلقه إلا هذه السورة لكفتهم وفي رواية: لو فكر الناس في هذه السورة لكفتهم. أي: لو نظروا فيها وتأملوا فيها لكانت كافية في إلزامهم بالحق، وقيامهم بما أوجب الله عليهم، وترك ما حرمه عليهم، لأن الله بين أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر هم الرابحون، ومن سواهم خاسر، وهذه حجة قائمة علىٰ وجوب التواصي، والتناصح، والإيمان والصبر، والصدق، وأنه لا طريق للسعادة والربح إلا بهذه الصفات الأربع:

إيمان صادق بالله ورسوله. وعمل صالح. وتواصٍ بالحق. وتواصٍ بالصبر.

(***) البخاري هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٧٩، ٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ يجبُ علىٰ كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ هذه المسائل(*) الثلاث والعملُ بهنَّ:

الأولىٰ: أنَّ اللهَ خَلَقَنا ورَزَقَنا ولم يترُكْنا هملاً(**)..............................

من بخارىٰ في الشرق الأوسط. ولد سنة أربع وتسعين ومائة في آخر القرن الثاني، ومات سنة ست وخمسين ومائتين في وسط القرن الثالث. كان عمره اثنتين وستين سنة. وهو صاحب الصحيح. وله مؤلفات أخرىٰ عظيمة نافعة رحمه الله يقول: باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، فالإنسان عليه أن يتعلم أولًا، ثم يعمل، فيتعلم دينه، ويعمل علىٰ بصيرة. والله أعلم.

(*) هذه المسائل الثلاث من أهم المسائل التي تتعلق بالتوحيد وحقوقه.

(**) الله خلق الخلق ليعبدوه، فلم يخلقهم هَمَلاً، ولا سُدًا، ولا عبثًا. لكنه خلقهم لأمر عظيم، ولحكمة عظيمة فيها سعادتهم، وفيها نجاتهم، وهي أن يعبدوا الله وحده لا شريك له كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهذه العبادة أمرهم الله بها في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] وفي قوله تعالىٰ: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. وفي قوله: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦] وفي قوله: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: ٢]. وفي قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. في آيات كثيرة أمرهم فيها بالعبادة، وهي توحيده جل وعلا، وتخصيصه بالعبادة من دعاء وخوف ورجاء وتوكل ورغبة ورهبة وصلاة وصوم وغير ذلك. فهو المستحق للعبادة جل وعلا، دون كل ما سواه. ويدخل في ذلك فعل الأوامر، وترك النواهي.

بل أرسلَ إلينا رسولاً(*) فمنْ أطاعَهُ دخلَ(**) الجنَّةَ ومنْ عصاهُ دخلَ النَّارَ. والدليلُ قولُهُ تعالىٰ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥ - ١٦].

فأداء الأوامر التي أمرك الله بها ورسوله، وترك النواهي التي نهاك الله عنها ورسوله، كل هذا داخل في العبادة. وهذا هو الإسلام. وهو الدين وهو الإيمان وهو الهدىٰ. فلا تصل إلا لله، ولا تركع إلا له ولا تذبح إلا له، ولا تدع إلا إياه، ولا تتوكل إلا عليه، إلىٰ غير هذا من العبادات. أما الاستعانة بحاضر قادر فيما يقدر عليه. فهذا ليس بعبادة كما قال سبحانه في قصة موسىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] فإن موسىٰ قادر علىٰ أن يغيثه. أما دعاء الميت، ودعاء الغائب الذي لا يسمع كلامك، أو دعاء الصنم، أو الجن، أو الأشجار، ونحوها فهذا شرك المشركين، وهو الشرك الأكبر الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] فالله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا. بل أمرنا بتوحيده، وطاعته، وترك معصيته.

(*) وأرسل إلينا رسولًا هو محمد عليه الصلاة والسلام بكل ما تقدم، وأنزل عليه القرآن بذلك، لنستقيم علىٰ ما فيه من الهدىٰ، ونعمل بما فيه من الأوامر، وننتهي عما فيه من النواهي، وعلىٰ يد محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين والمرسلين. جاء ليعلم الناس دينهم. فهو خاتم الأنبياء وإمامهم وأفضلهم.

(**) فمن أطاع هذا الرسول واستقام علىٰ دينه فله الجنة. ومن عصىٰ هذا الرسول وحاد عن دينه فله النار، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ١٥] يعني: بأعمالكم..﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [المزمل: ١٥] فهو مرسل عليه الصلاة والسلام. ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٦]. أي: أخذنا فرعون أخذًا وبيلًا في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار.

الثانية(*): أنَّ اللهَ لا يرضىٰ أن يُشْرك معهُ في عبادتِه أحـدٌ لا مَلَـكٌ مُقَـرَّب ولا نبيّ مُرْسَل والدليلُ قولُهُ تعالىٰ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

الثالثة(**): أنَّ مَنْ أطاعَ الرسولَ ووحَّدَ اللهَ لا يجوزُ لـهُ مُـوالاةُ مَـنْ حـادَّ اللهَ ورسولَهُ ولو كان أقْـرَبَ قريـب. والـدليلُ قولـه تعـالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

(*) هذه المسألة الثانية إنما هي تحقيق للمسألة الأولىٰ. أن تعلم أن الله لا يرضىٰ أن يشرك معه أحد في عبادته، كما أنه الخالق الرازق المحيي المميت، الذي خلقك وأعطاك النعم، فهو سبحانه لا يرضىٰ أن يشرك معه أحد من الخلق. لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولا غيرهما، لأن العبادة حق الله وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. وكما قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥] لأن الإشراك به هو أعظم الذنوب. وقد جاء في الآيات الكثيرة، الأمر بإخلاص العبادة لله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه. فتجمع بين أمرين: فتؤمن بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، وتؤمن بأنه سبحانه هو المستحق للعبادة من ذبح وصلاة وصوم وغير ذلك من العبادات، كما قال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

(**) وهذه هي المسـألة الثالثة وهـي مـن أهـم الواجبـات أن يعلـم كـل مـسلم ومسلمة أنه لا يجوز له أن يوالي المشركين أو يحبهم. فكل من أطاع الله ورسـوله ووحـد الله جل وعلا يلزمه أن يعادي الكفار ويبغضهم في الله، ولا يجوز له مـوالاتهم ومحبـتهم لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ [المجادلة: ٢٢] أي: لا تجد يا محمد قومًا أهل إيمان صادق يوادون

....

من حاد الله ورسوله. وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. وقال عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]. فلا بد من البغضاء والعداوة لأعداء الله، ومودة المؤمنين ومحبتهم، هكذا المؤمن يحب أولياء الله، ويتعاون معهم علىٰ الخير، ويكره أعداء الله ويبغضهم ويعاديهم في الله. وإن دعاهم إلىٰ الله. وإن أقرهم في بلاده وأخذ منهم الجزية كولي الأمر لأن الرسولﷺ أخذ الجزية من اليهود والنصارىٰ والمجوس[1] وأخذ الجزية منهم فيه عون للمسلمين لا محبة لهم. وتؤخذ الجزية منهم إذا لم يدخلوا في الإسلام ولا يقاتلون بل يقرون مع بغضهم في الله، وعدم موالاتهم. فإن أبوا الإسلام والجزية قوتلوا مع القدرة. وهذا خاص بأهل الكتاب والمجوس. أما بقية الكفار فلا تقبل منهم الجزية، بل يقاتلون حتىٰ يدخلوا في الإسلام كالوثنيين والشيوعيين وغيرهم من أصناف الكفرة مع القدرة علىٰ ذلك، لقول الله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] وقوله سبحانه: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]. وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]. والآيات في هذه المعنىٰ كثيرة.

----

(١) أما دليل أخذه ﷺ الجزية من اليهود والنصارىٰ فمعلوم ومنه قوله تعالىٰ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، وأما دليل أخذه ﷺ الجزية من المجوس فما خرجه البخاري في صحيحه برقم (٣١٥٧) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

اعلَمْ -أرشدَكَ(*) اللهُ لطاعتِه- أنَّ الحنيفيةَ(**): مِلَّةَ إبراهيمَ، أنْ تعبدَ اللهَ وحدَهُ مخلصًا له الدِّين، وبذلك أَمَرَ اللهُ(***) جميعَ الناس وخلَقهم لها، كما قال تعالىٰ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]، ومعنىٰ «يَعْبُدُونِ»: يوحِّدوني وأعظمُ ما أَمرَ اللهُ به التوحيدُ(****) وهو: إفرادُ الله بالعبادة ....

ومراده سبحانه مع القدرة علىٰ ذلك؛ لقوله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] الآية. ولأنه ﷺ لم يقاتل المشركين حتىٰ قوي علىٰ ذلك. ثم قال تعالىٰ في آخر الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. أي: قواهم بقوة منه.

(*) قال رحمه الله: اعلم أرشدك الله لطاعته. جمع رحمه الله بين التعليم والدعاء.

(**) الحنيفية: ملة إبراهيم، وهي أن تعبد الله مخلصًا له الدين، وهي التي قال الله فيها لنبيه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]. فالحنيفية: هي الملة التي فيها الإخلاص لله وموالاته، وترك الإشراك به سبحانه. والحنيف: هو الذي أقبل علىٰ الله وأعرض عما سواه، وأخلص له العبادة، كإبراهيم وأتباعه وهكذا الأنبياء وأتباعهم.

(***) قال وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، فأمرهم بالتوحيد والإخلاص، وخلقهم ليعبدوه، وأمرهم بأن يعبدوه وحده في صلاتهم وصومهم ودعائهم وخوفهم ورجائهم وذبحهم ونذرهم وغير ذلك من أنواع العبادة. كله لله كما قال تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]. وقال سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ﴾ [الزمر: ٢]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]. هذه العبادة هي التي خلق لها الناس. خلق لها الثقلان وهي توحيد الله، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. يعني يوحدوني في العبادة، ويخصوني بها، بفعل الأوامر وترك النواهي إلىٰ غير ذلك من الآيات.

(****) وأعظم ما أمر الله به التوحيد. وهو إفراد الله بالعبادة فتقصده بالعبادة دون كل من سواه، فلا تعبد معه صنمًا ولا نبيًّا ولا ملكًا ولا حجرًا ولا جنيًّا ولا غير ذلك.

وأعظمُ ما نهىٰ عنه الشركُ؛ وهو دعوةُ غيرِهِ معهُ(*) والدليل قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثلاثةُ(**) التي يجبُ علىٰ الإنسانِ معرفتُها؟ فقُلْ معرفةُ العبدِ رَبَّهُ، ودينَهُ، ونبيَّهُ محمدًا ﷺ.

(*) الشرك دعوة غيره معه، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ سئل أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**». قيل ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**» قيل ثم أي؟ قال: «**أن تزني بحليلة جارك**»(١) فبين ﷺ أن الشرك أعظم الذنوب وأشدها وأخطرها. وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**». قلنا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله**» الحديث. متفق عليه(٢).

فالتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة. والشرك: هو دعوة غير الله مع الله. تدعوه أو تخافه أو ترجوه أو تذبح له أو تنذر له أو غير ذلك من أنواع العبادة. هذا الشرك الأكبر سواء كان المدعو نبيًّا أو جِنيًّا، أو شجرًا أو حجرًا أو غير ذلك، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، فـ﴿شَيْئًا﴾ نكرة في سياق النهي، فتعم كل شيء، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، فأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة. وأعظم ما نهىٰ الله عنه هو الشرك بالله عز وجل، كما تقدم. ولهذا أكثر سبحانه وتعالىٰ في القرآن من الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.

(**) هذه الأصول الثلاثة تجمع الدين كله: مَنْ ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وهي التي يسأل عنها العبد في قبره.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧٧، ٦٠٠١، ٦٨١١، ٧٥٣٢)، ومسلم (٨٦) وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٤، ٥٩٧٦، ٦٢٧٣)، ومسلم (٨٧)، وغيرهما، عن أبي بكرة رضي الله عنه.

فإذا قيل لك (*): مَنْ رَبُّكَ؟ فقل(**): ربيَّ اللهُ الذي ربّاني وربّى جميعَ العالمينَ بنعمَتِهِ، وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواهُ، والدليلُ(***) قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ وكلُّ مَنْ سِوَىٰ الله عالمٌ(****) وأنا واحدٌ من ذلكَ العالَمِ(*****).

(*) **فإذا سأل سائل فقال:** من ربك؟

(**) **فقل:** ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته. وهو معبودي ليس لي معبود سواه. هذا رب الجميع كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٥]. والعالمون: جميع المخلوقات كلهم عالمون – الجن والإنس والبهائم والجبال والأشجار– كلها عالم. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤]، فهو رب الجميع له الخلق وله الأمر وهو المستحق بأن يعبد، ولهذا قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] الآية.. وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

(***) **والدليل قوله تعالى:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] يعني الثناء كله لله والعبادة من الثناء ومن الحمد.

(****) وكل ما سوىٰ الله عالم، من الجن والإنس، والحيوانات والجبال كلها عوالم.

(*****) وأنا واحد من ذلك العالم الذي خلقه الله وأوجده وأوجب عليه طاعته. فعلىٰ جميع العالمين من المكلفين من الجن والإنس أن يطيعوا الله ورسوله ويوحدوه جل وعلا. وهكذا الملائكة عليهم أن يعبدوا الله وحده، ولهذا قال تعالىٰ عن الملائكة: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦]. وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٧، ٢٨].

فإذا قيلَ لكَ(*): بما عرفْتَ ربَّكَ؟ فقُل(**): بآياتِهِ ومخلوقاتِهِ؛ ومِنْ آياتِهِ الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ، ومِنْ مخلوقاتِهِ السمواتُ السَّبْعُ والأَرْضُونَ السَّبعُ ومَنْ فيهنَّ وما بينهما، والدليلُ(***) قولُه تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

(*) **إذا قيل لك أيها المسلم**: بمَ عرفت ربك الذي أنت تعبده؟

(**) **فقل**: عرفته بآياته ومخلوقاته- أي بآياته الكثيرة، وبمخلوقاته العظيمة، التي تدل علىٰ أنه الرب العظيم، وأنه الخلاق العليم، وأنه المستحق لأن يعبد، وأنه الذي يخلق ما يشاء، ويعطي ويمنع، وينفع ويضر، بيده كل شيء سبحانه وتعالىٰ. فهو المستحق بأن نعبده بطاعته ودعائه واستغاثته وسائر أعمالنا وعباداتنا؛ لأن الله خلقنا لهذا.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذه العبادة هي توحيده، وطاعته، واتباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه قولًا وعملًا.

(***) ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣١] كل هذه تدل علىٰ أنه رب العالمين وأنه الخلاق العليم. يأتي الليل بظلامه، ويذهب النهار بضيائه، ثم يجيء النهار، ويذهب الليل، وهذه الشمس تطلع علىٰ الناس في الدنيا كلها، وينتفعون بها، وهذا القمر كذلك وغير هذه من الآيات العظيمة، كالأرض وما فيها من جبال وأنهار وبحار وأشجار وحيوانات. وهذه السموات التي يراها الناس، كلها من آياته الدالة علىٰ عظمته وأنه رب العالمين وأنه الخلاق العليم وأنه المستحق للعبادة ولهذا قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧]، يعني: لا تعبدوا هذه المخلوقات، بل اعبدوا الذي خلقها وأوجدها سبحانه وتعالىٰ، فهو المستحق بأن يذل له العبد ويخضع له، ويطيع أوامره وينتهي عن ناهيه سبحانه وتعالىٰ؛ تعظيمًا وتقديسًا له؛ وخوفًا منه؛ ورغبة فيما عنده.

وقولُهُ تعالىٰ(*): ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

(*) **وقال سبحانه**: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، يعني: إن ربكم أيها العباد من الجن والإنس هو الله. وربكم: يعني خالقكم، وهو معبودكم الحق وحده لا شريك له: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. أي ثم ارتفع علىٰ العرش، وعلا فوقه سبحانه وتعالىٰ. فعلمه في كل مكان وهو فوق العرش. فوق جميع المخلوقات. والعرش سقف المخلوقات وهو أعلىٰ المخلوقات، والله فوقه جل وعلا. استوىٰ عليه استواءً يليق بجلاله لا يشابه خلقه في شيء من صفاته. قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤].

وقوله ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤]، أي يغطي هذا بهذا. وهذا بهذا ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤]. أي سريعًا وكل واحد يطلب الآخر. إذا انتهىٰ هذا دخل هذا. وهكذا..حتىٰ تقوم الساعة. ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أي وخلق الشمس والقمر والنجوم، خلقها مسخرات بأمره، مطيعات مذللآت لأمره سبحانه.

ثم قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالخلق له والأمر له هو الخلاق الذي لا يخالف أمره الكوني الذي هو نافذ في الناس، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠]، فأمر الله الكوني القدري لا راد له ولهذا قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فـ﴿تَبَارَكَ﴾ يعني بلغ في البركة النهاية وهي صيغة لا تصلح إلا لله فلا يقال للعبد تباركت يا فلان هذا لا يصلح وإنما هو خاص بالله كما قال تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وإنما يقال للمخلوق بارك الله في فلان. أو فلان مبارك، أما تباركت فإنها لا تصلح إلا لله وحده.

والرَّبُّ: هو المعبودُ(*)، والدليلُ قولُه تعالىٰ(**): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

(*) والرب هو المعبود و﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ المخلوقات كلها من الجن والإنس والسماء والأرض، وهو ربها سبحانه وتعالىٰ، وهو رب الجميع، وخالق الجميع جل وعلا.

(**) **قال تعالىٰ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١] خلق الجميع الذين قبلنا، والذين بعدنا من آدم وما قبله وما بعده. ثم قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ [البقرة: ٢٢] الآية، فهو خلق الجميع ليتقوه ويعبدوه كما قال تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١]، ثم بين سبحانه بعض أفعاله فقال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ [البقرة: ٢٢]، فجعل الأرض فراشًا للناس، ومهادًا لهم. عليها يسكنون، وعليها يبنون، وعليها ينامون، وعليها يمشون، وأرساها بالجبال، ثم قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ [البقرة: ٢٢]، فجعلها بناءً وسقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون. وزينها بالنجوم والشمس والقمر ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ [البقرة: ٢٢]، أي من السحاب ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢٢] أنواع الأرزاق في كل مكان ويحي الله به الأرض بعد موتها.

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢٢] أي أشباهًا ونظراء تعبدونها معه. لا صنمًا ولا جنًّا ولا ملكًا ولا غير ذلك.

فالعبادة حق الله وحده.

ليس له نديد ولا نظير ولا مثيل بل هو الإله الحق. وكان المشركون يتخذون له الأنداد والنظائر والأمثال من الأصنام والجن والملائكة، ويعبدونهم من دون الله، ويستغيثون بهم فأنكر الله عليهم ذلك وبين أن هذه المخلوقات ليس لها حق في العبادة ولا قدرة لها علىٰ شيء إلا بإذنه سبحانه وتقديره.

قالَ ابنُ كثيرٍ(*) رحمَهُ اللهُ تعالىٰ: الخالقُ لهذهِ الأشياءِ هو المستحقُّ للعبادةِ.
وأنواعُ العبادةِ(**) التي أَمَرَ اللهُ بها:

(*) **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره:** الخالق لهذه الأشياء من سماء وأرض وثمار وأشجار ومطر وغير ذلك هو المستحق للعبادة سبحانه وتعالىٰ، وأن يطاع؛ لأنه رب الجميع، وخالق الجميع، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

(**) **العبادة أنواع:** فمنها الإسلام بأركنه. فكل ما أمر الله به من أعمال الإسلام عبادة، من صلاة وصوم وغير ذلك، وهكذا الإيمان بأعماله الباطنة، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وكذلك الخوف والمحبة والرجاء إلىٰ غير ذلك. فكل ما يتعلق بالقلوب داخل في العبادة بل هو أعلىٰ أنواع العبادة وأعظمها. فالواجب علىٰ كل مكلف إخلاص العبادة لله وحده. فلا يدعو مع الله الأنبياء ولا الأولياء ولا الأصنام ولا الأشجار ولا الأحجار ولا النجوم لأن العبادة حق لله وحده. قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]. وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]. وقال عز وجل: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]. فسمىٰ سبحانه دعاءهم شركًا. فالواجب علىٰ جميع المكلفين إخلاص العبادة لله وحده، رجاء وخوفًا واستعانة واستغاثة وذبحًا ونذرًا وخشية لله وصلاة وصومًا إلىٰ غير ذلك. كله لله وحده فمن تقرب لغير الله من ولي أو نبي أو صنم أو شجر أو حجر بالدعاء أو بالذبح أو بالنذر أو بالصلاة أو بالصوم ونحو ذلك، فهو مشرك كافر أشرك بالله وعبد معه سواه،

مثلُ الإسلامِ، والإيمانِ، والإحسانِ؛ ومنهُ الدعاءُ، والخوفُ(*)، والرجاءُ، والتوكلُ، والرغبةُ، والرهبةُ، والخشوعُ، والخشيةُ، والإنابةُ، والاستعانةُ، والاستعاذةُ، والاستغاثةُ، والذَّبْحُ، والنذرُ، وغيرُ ذلك من العبادةِ التي أمرَ اللهُ بها، كلُّها لله. والدليلُ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغير الله فهو مشركٌ كافرٌ، والدليلُ قوله تعالىٰ(**): ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وفي(***) **الحديثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»** والدليلُ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

كفعل المشركين الأولين: من عباد القبور وعباد الأشجار والأحجار والأصنام، ولهذا قال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦].

(*) فكل هذه العبادات يجب إخلاصها لله. ومن صرف منها شيئًا لغير الله من صنم أو شجر أو حجر أو قبر فهو مشرك بالله.

(**) **لقوله تعالىٰ:** ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]. ولغيرها من الآيات السابقات. وهذا دليل علىٰ ما تقدم.

(***) **وفي الحديث: « الدعاء مخ العبادة»**[1].

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٣٧١)، والطبراني في الأوسط (٣١٩٦)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٣٠٠٣).

....

وفي لفظ آخر: «**الدعاء هو العبادة**»[1]. وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [البقرة: ٦٠]، فسمىٰ الدعاء عبادة في قوله: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [البقرة: ٦٠] يعني عن دعائي. فالدعاء هو أن يَضَّرَّعَ إلىٰ الله يدعوه، ويسأله النجاة ويسأله الرزق، كل هذا عبادة. فإذا صرفها للصنم أو للشجر أو للحجر أو لميت، صار مشركًا بالله عز وجل فيجب الحذر من الشرك كله، دقيقه وجليله، وأن تكون العبادة لله وحده، لكن دعاء الحي الحاضر القادر، والاستعانة به في الشيء المقدور عليه لا بأس به، ولا يعتبر داخلًا في الشرك، فلو قلت لأخيك الحاضر: يا عبد الله أعني علىٰ قطع هذه الشجرة أو علىٰ حفر هذه البئر فلا بأس بذلك كما قال سبحانه في قصة موسىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] الآية.

استغاثه الإسرائيلي علىٰ القبطي؛ لأن موسىٰ قادر علىٰ إغاثته. يتكلم ويسمع. أما إذا اعتمد علىٰ المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله حاضرًا أو غائبًا أو ميتًا، واعتقد أنه ينفع من دعاه أو يضر لا بالأسباب الحسية من الشرك بالله. كما قال تعالىٰ عنهم أنهم قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]. فيظنون أنهم يستطيعون بعبادتهم إياهم أن يشفعوا لهم عند الله في حصول مطالبهم أو أنهم يقربونهم إلىٰ الله زلفىٰ. كما قال الله سبحانه عنهم في الآية الأخرىٰ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وهذا من جهلهم وضلالهم بالشافع والمشفوع إليه. والله سبحانه له الشفاعة جميعًا، وهو الذي يتصرف في عباده كيف يشاء، فلا يأذن بالشفاعة إلا فيمن يرضىٰ الله عمله. ولا يشفع أحد عنده إلا بعد إذنه. كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (١٨٣٧٨)، وابن حبان (٨٩٠)، والحاكم (١٨٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٤)، وغيرهم، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٧١٩).

ودليلُ(*) الخوفِ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فالشفاعة لا تكون إلا بإذنه للشافع، ورضاه عن المشفوع فيه. وهو سبحانه لا يرضىٰ بالشفاعة إلا لأهل التوحيد، كما صح عنه ﷺ أنه قال – لما سأله أبو هريرة قائلًا: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال-: «**من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»، أخرجه البخاري في صحيحه[1]. ولا تكون الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله من أهل التوحيد والإيمان.

(*) ومن ذلك الخوف وهو أقسام ثلاثة:-

الأول: خوف السر وهذا خاص بالله لأنه القادر علىٰ كل شيء وهو الذي يُخاف ويُخشىٰ.

كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]. وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

فالواجب خشية الله وخوفه؛ لأنه مصرف القلوب ومقلبها والقادر علىٰ كل شيء، وهو الذي ينفع ويضر، ويعطي ويمنع، فالواجب تخصيصه بالخوف وألا يخاف هذا الخوف إلا الله في كل الأمور. ولكن خوف السر يختص به سبحانه وهو كون الإنسان يخاف من أجل قدرة خاصة سرية ليست حسب الحس. ولذلك يعتقد عُبَّاد القبور أن بعض الناس له القدرة علىٰ التصرف في الكون مع الله جل وعلا. ويعتقدون ذلك أيضًا في الأصنام والجن وغيرها، وهذا هو الشرك الأكبر. ويعتقد فيهم أيضًا أن لهم القدرة علىٰ العطاء والمنع، وزيغ القلوب، وموت النفوس دون أسباب حسية.

الثاني: خوف الأسباب الحسية كما قال تعالىٰ في قصة أحد لما قيل للنبي ﷺ إن المشركين قد جمعوا لكم وسيرجعون إليكم فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

---

(١) رواه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠)، وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ودليلُ الرَّجاءِ(*) قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

فالشيطان يخوف الناس من أوليائه، ويعظمهم في صدور الناس حتىٰ يخافوهم، والله يقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ بل اعتمدوا عليَّ، وأعدوا العدة ولا تبالوا بهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وهذا الخوف الحسي لا بأس به لكن الخوف القلبي خوف السر هذا هو المنهي عنه أما الخوف الحسي، مثل أن يخاف اللص أو السارق أو العدو، فيعد العدة من السلاح اللازم كل هذا لابد منه، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وقال سبحانه في قصة موسىٰ لما خرج من مصر خائفًا من فرعون وقومه: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١] فإن هذا الخوف خوف حسي لا بأس به لكن لا يجوز خوف العدو خوفًا يمنع من جهاده، ونصر الحق، وإنما يحمله هذا الخوف علىٰ الإعداد للعدو وأخذ الحذر.

الثالث: الخوف الطبيعي الذي جبل عليه الإنسان وهذا لا حرج فيه مثل خوف الإنسان الحية والعقرب والسبع، فيتباعد عنها ويقتلها ويتباعد عن مظنة السباع حتىٰ لا يتأذىٰ بها. هذا أمر لا بد منه والله جبل الناس علىٰ الخوف مما يؤذي حتىٰ يتحرز منه يخاف البرد فيلبس الثياب الغليظة، ويخاف من الجوع فيأكل، ويخاف العطش فيشرب. هذه أمور طبيعية لا بأس بها.

(*) وهكذا الرجاء عبادة لله فيرجو الله ويحسن به الظن، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] فالرغبة إليه، ورجاء ما عنده، عبادة له سبحانه وتعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] فالرغب: الرجاء، والرهب: الخوف. وكلاهما عبادة. وعلىٰ العبد أن يحسن ظنه بربه، ويعمل بالأسباب الشرعية. وإن الظن الحسن مع الأخذ بالأسباب يعود علىٰ العبد بالخير، وبالرحمة، وبدخول الجنة، وبمغفرة الذنوب.

ودليـــلُ التَّوكُّـــلِ(*) قولــه تعـــالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة:٢٣]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

ودليلُ(**) الرَّغْبَةِ والرَّهبَةِ والخُشوع قولُه تعـالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠].

ودليلُ الخَشيةِ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠].

ودليل الإنابةِ(***) قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤] الآية.

ودليل الاستعانةِ(****) قولـه تعـالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]، وفي الحديثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ».

(*) وهكذا التوكل عبادة. وهو التفويض إلىٰ الله، والاعتماد عليه في كل الأمور مع الأخذ بالأسباب. فتعتمد علىٰ الله في السلامة من الشر، والعافية من الفتن، وحصول الرزق، وفي دخول الجنة، والنجاة من النار، مع الأخذ بالأسباب المشروعة قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، يعني كافيه.

(**) وهكذا الرغبة والرهبة والخشية من الله كل هذه عبادات. قال تعالىٰ: عن الأنبياء والصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠] يعني خائفين يخشون الله، ويخشعون لعظمته أي يذلون.

(***) **وهكذا الإنابة عبادة:** قال تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، والإنابة معناها: الرجوع إلىٰ الله، والتوبة إليه، والاستقامة علىٰ طاعته، فهذه عبادة لله. يجب علىٰ الناس أن ينيبوا إلىٰ الله، ويرجعوا إليه، ويتوبوا إليه، ويستقيموا علىٰ طاعته.

(****) **وهكذا الاستعانة عبادة كما قال تعالىٰ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] وفي الحديث: «**إذا استعنت فاستعن بالله**»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٦٦٩)، والحاكم (٦٣٠٣)، والطبراني في الكبير (١١٢٤٣)، وغيرهم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

ودليل الاستعاذةِ(*) قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق:١]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس:١].

ودليل الاستغاثةِ(**) قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] الآية.

ودليل الذَّبْح(***) قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢،١٦٣]، ومِنَ السُّنَّةِ «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله»(١).

ودليلُ النَّذْرِ(****) قوله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان:٧].

فيستعين العبد بالله فتقول: اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك. اللهم أعني علىٰ طاعتك. اللهم أعني علىٰ كل خير، إلىٰ غير هذا تستعين بالله في كل المهمات.

(*) **وهكذا الاستعاذة عبادة**: أن تستعيذ بالله من الشرور، وتلجأ إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]، فالاستعاذة بالله من الشيطان، ومن كل مؤذ ومن كل عدو أمر مأمور به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

(**) وهكذا الاستغاثة عبادة أن تستغيث بالله في الشدائد من عدو، أو تطلبه إنزال الغيث المبارك، أو بكشف الضر، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

(***) **وهكذا الذبح عبادة**: قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي ذبحي: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

(****) **وهكذا النذر عبادة قال تعالىٰ**: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠] الآية.

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٨)، والنسائي (٤٤٢٢) عن علي رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[١].

فالنذر عبادة وطاعة لله. إذا فعله الإنسان لزمه الوفاء، والنذر مكروه؛ لأن فيه التزامًا؛ وفيه مشقة.

ولهذا نهى النبي ﷺ عن النذر وقال: «إن النذر لا يأتي بخير»[٢].

ولكن إذا نذر طاعة لزمه الوفاء. لقول الرسول ﷺ: **«من نذر أن يطيع الله فليطعه»**. فإذا نذر عبادة من صلاة أو صوم أو غيرهما لزمه الوفاء لما تقدم.

---

(١) رواه البخاري (٦٦٩٦، ٦٧٠٠)، والترمذي (١٥٢٦)، وغيرهما، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه بنحوه البخاري (٦٦٠٨، ٦٦٩٢، ٦٦٩٣) ومسلم (١٦٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الأصلُ الثَّاني

معرفةُ دينُ الإسلام(*) بالأدلةِ، وهو الاستسلامُ لله بالتوحيدِ، والانقيادِ له بالطاعةِ، والبراءةُ مِنَ الشِّركِ وأهلِهِ؛ وهو ثلاثُ مراتبَ: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ، وكلُّ مرتبةٍ لها أركانٌ.

فأركانُ الإسلامِ خمسةٌ(**):

(*) هذا هو الأصل الثاني. وهو دين الإسلام. وهو ثلاث مراتب بينها الرسول ﷺ. فأولها الإسلام وهو الإخلاص لله وحده: يعني الاستسلام لله بالعبادة، وتخصيصه بها دون كل ما سواه. والبراءة من الشرك وأهله. فإذا فعل ذلك فقد أسلم، يعني: انقاد وذل وخضع لله وحده بالعبادة دون كل ما سواه. وتبرأ من الشرك وأهله. قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والكفر بالطاغوت معناه: البراءة من الشرك وأهله، وإنكار ذلك، واعتقاد بطلانه. وهناك مرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان، وكلها داخلة في دين الإسلام، الدين الذي شرعه الله لعباده وأرسل به الرسل جميعًا. ومرتبة الإسلام تشمل الأعمال الظاهرة.

(**) **وأركانه خمسة**: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا. كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في قوله: «**بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت**»[1]. فأول أركان الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله. وبها يدخل العبد في الإسلام فيشهد أن لا إله إلا الله: أي لا معبود حق إلا الله. وهي نفي وإثبات، فلا إله: نفي، وإلا الله: إثبات قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: ٥].

---

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، وغيرهما، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

شهادةُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ(*).

وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] الآية. وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، أما قولها بدون العمل بها، فلا تنفع كأن يقول لا إله إلا الله، ولا يخص الله بالعبادة فإن شهادته لا تنفع، كالمنافقين فإنهم يقولونها ولا يعتقدونها فهم في الدرك الأسفل من النار. فالذي يقول لا إله إلا الله ويعبد القبور والأصنام لا تنفعه بل هي باطلة. وأما الشهادة الثانية وهي: أن محمدًا رسول الله، فدليلها قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، يعني: محمدًا عليه الصلاة والسلام تعرفونه؛ لأنه من أنفسكم وهو من أشرف قبائلكم من بني هاشم﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أي يشق عليه ما يشق عليكم: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾. يعني: علىٰ هدايتكم، وإنقاذكم من النار. وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] وبعد هذه الشهادة، علىٰ العبد أن يطيعه فيما أمر، وأن يصدقه فيما أخبر، وأن يجتنب ما عنه نهىٰ وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع. فلا بد من هذه الأمور الأربعة:

الأول: طاعته فيما أمر من الصلاة والزكاة وغيرها.

الثاني: تصديقه فيما أخبر عن الآخرة والجنة والنار وغير ذلك.

الثالث: واجتناب ما عنه نهىٰ وزجر، كالزنا والربا وغير ذلك مما نهىٰ الله عنه ورسوله.

الرابع: وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، فلا يبتدع في الدين مما لم يشرعه الله لقول النبي ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١). وفي رواية «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٢) أي: هو مردود.

(*) **ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالىٰ:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨)، وأحمد (٢٤٩٤٤)، وغيرهما، من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

وصومُ رمضانَ(*)، وحجُّ بيتِ الله الحرام(**).

فدليلُ الشّهادةِ(***) قولُهُ تعالىٰ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: ١٨]، ومعناها لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ وحده؛ ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ نافيًا جميعَ مَا يُعْبدُ مِنْ دونِ الله ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ مُثْبتًا العبادةَ لله وحدَهُ لا شريكَ لهُ في عبادتِهِ، كما أنَّه ليس له شريك فى مُلْكِهِ، وتفسيرُها الذى يوضِّحُها قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦- ٢٨].

وقولُه تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران:٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ [التوبة: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٥].

(*) **ودليل الصيام:** قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]. إلىٰ قوله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أي أن الصيام واجب عليكم كل عام في شهر رمضان.

(**) **ودليل الحج قوله تعالىٰ:** ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧] الآية وهو مرة في العمر لقول النبي ﷺ: «**الحج مرة فمن زاد فهو تطوع**»(١).

(***) هذه الصفحة والتالية تابعة للمتن وقد تقدم شرحها فيما مضىٰ.

---

(١) رواه أبو داود (١٧٢١)، وأحمد في المسند (٢٣٠٤)، والدارمي في سننه (١٧٨٨)، والحاكم (٣١٥٥)، وغيرهم، عن ابن عباس ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود (١٥١٤).

ودليلُ شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ الله قولهُ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، ومعنىٰ شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ الله: طاعتُهُ فيما أَمَرَ، وتصديقُهُ فيما أَخْبَرَ، واجتنابُ ما عنْهُ نهىٰ وزَجَرَ، وأنْ لا يعبدَ اللهَ إلاَّ بما شَرَعَ.

ودليلُ الصلاةِ، والزكاةِ، وتفسيرُ التَّوحيدِ قولُه تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

ودليلُ الصيامِ قولُه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة:١٨٣].

ودليلُ الحجِّ قولُه تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧].

المرتبة الثانية:

الإيمانُ(*): وهو بضعٌ وسبعونَ شعبَة، فأعلاها قولُ لا إلـه إلاَّ الله، وأدْناها إماطةُ الأذَىٰ عنِ الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ مِنَ الإيمانِ، وأركانُهُ سِتَّة: أنْ تؤمنَ بالله، وملائكَتِهِ، وكتبِهِ، ورُسُلِهِ، واليوم الآخر، وبالقَدَر خيرِهِ وشرِّهِ، والدليلُ علىٰ هذه الأركانِ الستَّةِ قولُه تعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآيـة، ودليلُ القَدَرِ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

(*) **الإيمان:** هو ما يتعلق بالقلوب، من التصديق بالله، وأنه رب العالمين، وأنه هو المستحق للعبادة، والتصديق بالملائكة وبالكتب وبالرسل وبالبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره. كل هذا يتعلق بالقلوب. فهو أصل من الأصول التي لا بد منها. فلا إسلام إلا بإيمان ولا إيمان إلا بإسلام. فلا بد من هذا وهذا. لا بد من إسلام الجوارح، ولا بد من إسلام القلوب وإيمانها. ولهذا جمع الله بين الأمرين في كتابه العظيم. وهكذا الرسول ﷺ. ذكرهما جميعًا فالإسلام هو الانقياد الظاهر بطاعة الله وترك معصيته.

المرتبةُ الثالثةُ:

الإحسانُ(*)، ركنٌ واحدٌ، وهو أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تَـراهُ فإنَّـه يَـراكَ، والـدليلُ قولُـهُ تعـالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨]، وقولُهُ تعـالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]، وقولُهُ تعـالىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] الآية.

والدليلُ مِنَ السُّنَّة حديثُ جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن جُلوسٌ عند النَبيِّ ﷺ إذْ طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياضِ الثياب، شديد سوادِ الشَّعر، لا يُرىٰ عليه أثَرُ السَّفر، ولا يعرفه مِنَّا أحد، فجلس إلىٰ النبي ﷺ، فأسند رُكبَتَيْه إلىٰ رُكبَتَيْه، ووضع كَفَّيْه علىٰ فخذيه، وقال: يا مُحَمَّدُ؛ أَخبِرْنِي عَنِ الإسلام، فقال: «**أن تَشْهَدَ أَن لا إلَهَ إلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ،**

والإيمان يشمل الأعمال الباطنة مما يتعلق بالقلوب وتصديقها، ويطلق الإسلام علىٰ الإيمان ويطلق الإيمان علىٰ الإسلام. فإذا قيل الإيمان عم الجميع وإذا قيل الإسـلام عـم الجميع قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] فيعم ما يتعلـق بالبـاطن والظاهر. وهكذا الإيمان إذا أطلق عم الجميع لقوله ﷺ في الحديث الصحيح. «**الإيـمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذىٰ عـن الطريـق**»[1]، فالإيمان هنا يعم الجميع فيعم أركان الإسلام، ويعم جميع الأعـمال الظـاهرة، كـما يعـم الباطنة. كما أنه يشمل الإحسان.

(*) أما الإحسان فهو إكمال العبادة ظاهرًا وباطنًا وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[2].

---

(١) رواه مسلم (٣٥)، والنسائي (٥٠٠٤)، وغيرهما، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩) عن أبي هريرة ﷺ.

وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قال: صَدَقْتَ. فعجبنا له: يسأله ويُصَدِّقُه ! قال: أخبرني عن الإيمان؟، قال «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قال: أخبرني عن الإحسان؟، قال: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قال: أَخْبِرْني عَنْ السَّاعة؟ قال: «مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قال: أَخْبِرْني عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قال: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاةَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: فَمَضَىٰ. فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقال: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلُ؟» قلنا: الله ورسوله أعلَم، قال: «هَذَا جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ».

فمن عبد الله علىٰ هذا الاستحضار فقد أدرك مرتبة الإحسان، واجتمع له الخير كله، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦] والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

الأصلُ الثالثُ(*)

معرفةُ نبيكُمْ محمدٍ ﷺ: وهو محمدُ(**) بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وهاشمُ مِنْ قريشٍ، وقريشٍ مِنَ العربِ، والعربُ مِنْ ذرّيّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليْهِ وعلىٰ نبيّنا أفضلُ الصَّلاةِ والسّلامِ.

(*) هذا هو الأصل الثالث وهو معرفة نبينا محمد ﷺ فعلىٰ الإنسان أن يعرف نبيه الذي أرسله الله إليه، وبلغه الرسالة، وبين له الشرائع التي أمره الله بها، وأوضح له العبادة التي خلقنا الله لها.

(**) هذا النبي هو محمد عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء، ورسول الله لهذه الأمة من الجن والإنس. أرسله الله للناس جميعًا قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]. فاسمه محمد، واسمه أحمد، واسمه الحاشر، والماحي، والمقفي[1]، لأنه خاتم الأنبياء، وهو نبي التوبة، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة هذه كلها أسماؤه عليه الصلاة والسلام لكن أشهرها وأفضلها وأعظمها محمد الذي سماه به أهله وجاء به القرآن، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]. وهكذا أحمد كما بشر به عيسىٰ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] فهو محمد وأبوه اسمه عبد الله وجده اسمه عبد المطلب. وعبد المطلب لقب، وإلا فاسمه شيبة وأبو جده اسمه هاشم وهو سيد من سادات قريش كما أن عبد المطلب كذلك. وهاشم من قريش قبيلة عظيمة وهي أفضل العرب والنبي ﷺ من خاصتهم من بني هاشم وهم أفضل قريش. واسمه فهر بن مالك وقيل قريش هو النضر بن كنانة جد فهر بن مالك، وقريش من العرب المستعربة التي استعرب لسانها فصار لها لسان عربي واضح، فهي أكثر عروبة من قحطان. ولهذا يقال لهم العرب العاربة والعرب المستعربة، وهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل.

---

(١) رواه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه.

وله مِنَ العُمْرِ: ثلاثٌ وستُّونَ سنةً، منها أربعون قبل النُّبُوَّةِ، وثلاثٌ وعشرون نبيًّا رسولًا، نُبِّئَ بـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾(*) وأُرْسِلَ بـ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾(*)، وبلدُهُ مكّةَ، بعثهُ اللهُ بالنّذارةِ عن الشِّركِ، ويدعُو إلى التَّوحيدِ، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [المدثر: ١-٧].

ومعنى ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾: يُنْذِرُ عنِ الشِّركِ ويدعُو إلى التَّوحيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾: عَظِّمْهُ بالتَّوحيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ أي: طَهِّرْ أعمالَكَ عنِ الشِّركِ، ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ الرُّجْزُ: الأصنامُ، وهجرُها تَرْكُها وأهلها، والبراءة منها وأهلِها.

(*) وهذا النبي العظيم وهو محمد ﷺ نُبئ بـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ فأول ما نزل عليه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] وصار بها نبيًّا[1]. وقال أتاه جبريل وهو في الغار. غار حراء فأقرأه هذه السورة.

(**) ثم بعد مدة يسيرة جاءه بـ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[2] فصار رسولًا بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدثر: ١، ٢]. والمدثر: الملتحف. لأنه بعد ما جاءه الوحي، اشتد عليه الأمر وقال: «**زملوني زملوني... دثروني دثروني**» من شدة ما أصابه من الخوف لما ضغط عليه جبرائيل عليه الصلاة والسلام مرات، ثم قال: اقرأ تمهيدًا لأعباء الرسالة وعظمتها ثم قال الله: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدثر: ٢] أي قم فأنذر الناس. فصار رسولًا بأمره بالنذرة: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾ [المدثر: ٣] أي: عظمه بالتوحيد: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ [المدثر: ٤] أي طهر أعمالك من الشرك؛ لأن تطهير الملابس غير مراده في هذه الآية؛ لأن الصلاة لم تفرض في ذلك الوقت، فالمراد هنا الأعمال كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦]. فالعمل يسمى لباسًا: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [المدثر: ٥] فالرجز: الأصنام. وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها.

---

(١) رواه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٢) انظر التخريج السابق نفسه.

أخذَ علىٰ هذا عشْرَ(*) سِنينَ يدعُو إلىٰ التوحيدِ، وبعدَ العشْرِ(**) عُرِجَ به إلىٰ السماءِ وفُرِضَتْ عليه الصلواتُ الخمسُ، وصلَّىٰ في مكّةَ ثلاثَ سنينَ، وبعدَها أُمِرَ بالهجرةِ إلىٰ المدينةِ(***).

(*) أخذ علىٰ هذا الأمر عشر سنين. يدعو إلىٰ التوحيد ويحذر من الشرك، ويأمر بخلع عبادة ما سوىٰ الله سبحانه، وترك عبادة الأصنام والأوثان، ويأمرهم أن يخصوا الله بالعبادة في دعائهم ونذرهم وذبائحهم وغير ذلك.

(**) ثم بعد العشر عرج به ﷺ إلىٰ السماء مع جبرائيل وفتحت له السموات إلىٰ موضع رفيع فوق السماء السابعة. حتىٰ سمع فيه صريف الأقلام. ثم ناداه الله جل وعلا وكلمه وفرض عليه الصلوات الخمس. فرضها خمسين صلاة ثم لم يزل يطلبه التخفيف حتىٰ جعلها الله خمسًا[1]. فقال الله سبحانه: «**هي خمس في العدد وهي خمسون في أم الكتاب**». فمن حافظ علي الصلوات الخمس وأداها، كتب الله له أجر خمسين. فالحسنة بعشر أمثالها. فنزل بذلك عليه الصلاة والسلام فاستقرت الصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر. صلاهم في مكة ثلاث سنين قبل أن يهاجر.

(***) ثم هاجر إلىٰ المدينة بعد ما اشتد عليه أذىٰ قريش له ولأصحابه، فأذن الله له بالهجرة من مكة؛ لأجل أذىٰ وظلم قريش، إلىٰ المدينة إلىٰ الأنصار وقد بايعوه في موسم الحج علىٰ أن ينتقل إليهم وينصروه رضي الله عنهم وأرضاهم. فلما تمت البيعة وأذن الله له بالهجرة هاجر إليهم. وكان بعض أصحابه قد هاجر قبل ذلك إلىٰ الحبشة ومكثوا عند النجاشي مدة. ثم هاجر بقيتهم إلىٰ المدينة فلما استقر بالمدينة جاء الذين في الحبشة إلىٰ المدينة واستقر الجميع في المدينة والحمد لله.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر ﵁.

والهجرةُ: الانتقالُ مِنْ بلدِ الشِّركِ إلىٰ بلدِ الإسلام، وهي باقيةٌ إلىٰ أنْ تقومَ الساعةُ، والدليلُ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧-٩٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦]، قالَ البَغَوِيُّ رحمه الله: سببُ نزولِ هذه الآيةِ في المسلمين الذين في مكَّةَ لم يهاجِرُوا؛ ناداهُم اللهُ باسمِ الإيمانِ.

والدليلُ علىٰ الهجرةِ من السُّنَّةِ قولُهُ ﷺ: «**لا تَنْقَطِعُ الهجرَةُ حتَّىٰ تَنْقَطعَ التَّوبـةُ ولا تنقطعُ التّوبةُ حتّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[1].

فلمَّا استقرَّ(*) في المدينةِ أُمِرَ ببقيَّةِ شرائعِ الإسـلامِ مثـلُ الزكـاةِ، والـصّومِ، والحـجِّ، والأذانِ، والجهادِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وغيرِ ذلكَ مِنْ شرائعِ الإسلامِ.

(*) فلما استقر في المدينة بعد الهجرة أمره الله ببقية شرائع الإسلام من الزكاة وصيام رمضان وحج البيت والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن المدينة صارت دار إسلام وهي العاصمة الأولىٰ للمسلمين، فلهذا أمروا بهذه الأمور؛ لأنهم يتمكنون حينئذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا من رحمة الله عز وجل أن أجل هذه الواجبات إلىٰ أن هاجر إلىٰ المدينة وكان أصل الزكاة مشروعًا في مكة كما قال تعالىٰ في سورة الأنعام وهي مكية: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]، ولكن أنصباؤها ومصارفها وتفاصيل أحكامها، ....

----

(١) رواه أبو داود (٢٤٧٩)، وأحمد (١٦٩٥٢)، والطبراني في الكبير (٩٠٧)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٧٣٧١)، والبيهقي في سننه الكبرىٰ (١٧٥٥٦)، كلهم عن معاوية ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٤٦٩).

أخذَ علىٰ هذا عَشرَ سنينَ وتُوُفِّيَ(*) صلاةُ الله وسلامُهُ عليهِ ودينُـهُ بـاقٍ. وهـذا دينُه، لا خيرَ إلاَّ دَلَّ الأمَّةَ عليهِ، ولا شَرَّ إلاَّ حَذَّرَهَا منْه، والخيْرُ الـذي دلَّهَـا عليْـه: التَّوحيدُ، وجميعُ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاهُ. والشَّرُّ الذي حَذَّرَهَا منه: الـشِّركُ وجميـعُ مـا يكرَهُهُ اللهُ ويأباهُ.

بعثَهُ اللهُ إلىٰ الناسِ كافَّة، وافـترَضَ طاعَتَـه عـلىٰ جميـعِ الثَّقلـينِ: الجـنِّ والإنـسِ، والدليلُ قولُهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وكمَّلَ اللهُ به الدينَ، والـدليلُ قولـه تعـالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. والدليلُ عـلىٰ موتِـهِ ﷺ قولُـهُ تعـالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمـــر: ٣٠،٣١]. والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعَثُونَ(**)، ....

...... كل هذا صار في المدينة وهكذا صيام رمضان شرع في السنة الثانيـة مـن الهجـرة، وهكذا الحج شرع في السنة التاسعة أو العـاشرة مـن الهجـرة وأنـزل الله فيـه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمـران: ٩٧]، في سورة آل عمران وهي مدنيـة. وهكذا الجهاد أمر به في المدينة، وكان في أول الأمر يجاهد من جاهده، ويكف عمن كف عنه، ثم أمر بأن يبدأهم بالقتـال، وأن يجاهـد الكفـار وإن لم يبـدأوا، فيـدعوهم إلىٰ الله يرشدهم إليه، فإن أجابوا وإلا قاتلهم؛ حتىٰ يستجيبوا للحق إلا أهل الكتاب فإنه يقبل منهم الجزية. وسن الله في المجوس سنة أهل الكتاب. إما إسلام وإما جزية، وأمـا بقيـة الكفرة إما الإسلام وإما السيف مع القدرة.

(*) وبعدما أكمل الله به الدين توفاه الله إليه بعد عشر سنين من الهجـرة قـال الله تعـالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقال جل وعـلا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠،٣١].

(**) والناس إذا مـاتوا يبعثـون كـما قـال تعـالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

... والدليلُ قولُهُ تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥]، وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧، ١٨]، وبعدَ البَعْثِ محاسبُونَ ومَجزيُّونَ بأعْمالِهِمْ والدليلُ قولُهُ تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ومَنْ كَذَّبَ بالبعثِ كَفَرَ، والدليلُ قولُهُ تعالىٰ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وأرسلَ اللهُ(*) جميعَ الرُّسلِ مبشِّرينَ ومُنذرينَ، والدليلُ قولُهُ تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال سبحانه: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧] وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، فهم محاسبون ومجزيون يوم القيامة، ويعطون كتبهم بأيمانهم وشمائلهم فالسعيد يعطىٰ كتابه بيمينه، والشقي يعطىٰ كتابه بشماله. السعيد يرجح ميزانه والكافر يخف ميزانه، وأصحاب المعاصي علىٰ خطر فقد يرجح ميزانهم بالتوبة، أو بعفو الله، أو بالحسنات، وقد يخف ميزانهم فيكونوا من أهل النار، فيعذبون فيها ما شاء الله، ثم يخرجهم الله من النار بسبب موتهم علىٰ الإسلام. فالواجب علىٰ كل مكلف أن يحذر سيئات العمل، وأن يلزم التوبة والاستقامة؛ لأنه لا يدري متىٰ يهجم عليه الأجل. فالحزم كل الحزم أن يأخذ المسلم بالعزيمة؛ ويجاهد نفسه حتىٰ يستقيم علىٰ الحق، والتوبة النصوح من جميع الذنوب، حتىٰ إذا هجم عليه الأجل إذا هو علىٰ خير عمل وعلىٰ استقامة فيفوز بالسعادة والنجاة يوم القيامة.

(*) والرسول ﷺ مرسل إلىٰ جميع الناس إلىٰ الجن والإنس، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وأولهُمْ نوحٌ(*) عليهِ السلامُ، وآخِرُهُم محمدٌ ﷺ وهو خاتِمُ النَّبيينَ(**).

فهو خاتم الأنبياء ليس بعده نبي، وهكذا الرسل جميعًا أرسلوا إلىٰ أممهم مبشرين ومنذرين، من أولهم إلىٰ آخرهم.

(*) فأولهم نوح[1] بعثه لما وقع الشرك في قومه. وقبله آدم فإنه نبي رسول مكلف. أرسله الله إلىٰ ذريته؛ ليعبدوا الله بالشريعة التي جاء بها أبوهم آدم عليه الصلاة والسلام، واستمروا علىٰ الإسلام والاستقامة، حتىٰ وقع الشرك في قوم نوح، فلما وقع الشرك في قوم نوح، أرسل الله إليهم نوحًا عليه الصلاة والسلام، وهو أول الرسل إلي أهل الأرض بعد وقوع الشرك. وكل أمة بعث الله إليهم رسولاً. فعادٌ أرسل الله إليهم هودًا، ثم أرسل الله صالحًا إلىٰ قومه ثمود، ثم أرسل إبراهيم ولوطًا وشعيبًا في زمان متقارب، ثم جاءت الرسل بعد ذلك تترىٰ، ففيهم موسىٰ وهارون وعيسىٰ وأيوب وداود وسليمان، ثم ختموا بمحمد عليه الصلاة والسلام.

(**) ثم ختموا بمحمد عليه الصلاة والسلام، وهو خاتمهم وآخرهم وأفضلهم عليه الصلاة والسلام، قال الله جل وعلا: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، فقوله مبشرين يعني: يبشرون من أطاعهم بالجنة. ومنذرين: يعني ينذرون الناس من الشرك بالله، ومن النار والعذاب الأليم، إذا خالفوا أمر الله. وهكذا محمد ﷺ أرسله الله بشيرًا ونذيرًا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] وقال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فالواجب علىٰ جميع الأمم اتباع رسلهم. فكل أمة يجب عليها أن تتبع رسولها، وتنقاد لما جاء به من الهدىٰ، وقد وعدها الله علىٰ ذلك السعادة في الدنيا والآخرة، وأكثر الخلق قد عصوا رسلهم وخالفوا ما جاءت به الرسل، ....

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٢٤٣٤) عن أبي هريرة ﷺ.

والدليلُ علىٰ أنَّ أوَّلهُم نوح قولـه تعـالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣]، وكلُّ أمَّةٍ بعثَ اللهُ إليهم رسولاً مِنْ نـوحٍ إلىٰ محمـدٍ، يأمُرُهُمْ(*) بعبادةِ الله وحدَهُ، ويَنْهَاهُمْ عنْ عبادَةِ الطاغوتِ(**)، والدّليلُ قولُـهُ تعـالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحـل: ٣٦]، وافترضَ اللهُ علىٰ جميعِ العبادِ الكفرَ بالطاغوتِ والإيمانَ بالله، قال ابنُ القـيِّمِ رحمـهُ اللهُ تعالىٰ: معنىٰ الطاغوت ما تجاوزَ بِهِ العبدُ حدَّهُ مِنْ معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاعٍ.

والطواغيتُ كثيرونَ ورؤوسُـهُمْ خمسةٌ: إبليسُ لعنَـهُ اللهُ، ومَـنْ عُبِـدَ وهـو راضٍ، ومَنْ دعا الناسَ إلىٰ عبادَةِ نفسِهِ، ومَنِ ادَّعىٰ شيئًا مِـنْ عِلـمِ الغيْـبِ، ومَـنْ حكمَ بغـيرِ مَـا أنـزلَ اللهُ، والـدليلُ قولُـهُ تعـالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ....

.... قـال تعـالىٰ: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسـف: ١٠٣]، وقـال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعـالىٰ: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سـبأ: ١٣]، وقـال تعـالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠﴾ [سبأ: ٢٠].

(*) وكل رسول يدعو أمته إلىٰ توحيد الله، وطاعته، وترك الـشرك بـه ومعـصيته. قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، اعبدوا الله يعني: أطيعوه ووحدوه واستقيموا علىٰ دينه، واجتنبوا الطاغوت.

(**) والطاغوت هو كل ما عبد من دون الله وهو راض. وكل من حكم بغـير مـا أنزل الله أو دعا إلىٰ ذلك. والطاغوت هو الذي يتجاوز الحد إما بـشركه وكفـره، وإمـا بدعوته إلىٰ ذلك، وشرهم ورأسهم إبليس لعنه الله. وهكذا كل من دعا إلىٰ عبادة نفسه، أو رضي أن يعبد من دون الله، كفرعون والنمـرود، أو ادعـىٰ شـيئًا مـن علـم الغيـب، كالكهنة والعرافين والسحرة في الجاهلية وفي الإسلام.

....

وكذلك من حكم بغير ما أنزل الله متعمدًا، فهؤلاء رؤوس الطواغيت. وكل من جاوز الحد، وخرج عن طاعته الله، يسمىٰ طاغوت. قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. فالرشد: الإسلام وما جاء به النبي ﷺ والغي: الكفر بالله والضلال. قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فـ﴿يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾، يعني: يتبرأ منه، ويعتقد بطلانه، فيتبرأ من الشرك.

﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يعني: يصدق أن الله معبوده، وإلهه الحق، ويؤمن بالشريعة وبمحمد عليه الصلاة والسلام وينقاد لذلك. هذا هو المؤمن.

ثم قال: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ يعني: استعصم.

﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ وهي لا إله إلا الله كلمة التوحيد. يعني: فقد استمسك بالعروة التي لا انقطاع لها. بل من استمسك بها صادقًا، واستقام عليها، وصل إلىٰ الجنة والكرامة؛ لأن لها حقوقًا، وهي توحيد الله، وطاعته واتباع شريعته.

ومحمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو رسول الله إلىٰ جميع أهل الأرض. من الجن والإنس.

فيجب علىٰ جميع المكلفين، طاعته واتباع شريعته. ولا يجوز لأحد الخروج عنها، وجميع الشرائع الماضية كلها نسخت بشريعته عليه الصلاة والسلام كما قال الله عز وجل: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] الآية. وقال قبلها سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ [هود: ١٧].

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني**، ....

وهذا هو معنىٰ لا إله إلا الله.

وفي الحديثِ: «رأسُ الأمرِ(*) الإسلامُ وعمودُهُ الصَّلاةُ وذروةُ سنَامِهِ الجهادُ في سبيلِ الله».

والله أعلم

...... **ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»**، أخرجه مسلم في صحيحه(١).

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة، وقد أجمع أهل العلم رحمهم الله علىٰ أنه لا يسع أحدًا من هذه الأمة الخروج علىٰ شريعة محمد ﷺ وأن من اعتقد ذلك فهو كافر كفرًا أكبر مخرجًا من الملة. نسأل الله العافية والسلامة.

(*) وفي الحديث: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»(٢).

فعلىٰ جميع المكلفين أن يوحدوا الله، ويعبدوه دون كل ما سواه، وأن يكفروا بالطاغوت، وينكروا عبادته، ويلتزموا بالتوحيد، واتباع شريعته سبحانه وتعالىٰ، وتعظيم أمره ونهيه.

ورأس الأمر يعني: رأس الدين هو الإسلام. يعني: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

---

(١) رواه مسلم (١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (٢٢٠٦٩)، والطيالسي في مسنده (٥٦٠)، والطبراني في الكبير (٩٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٣٠٣)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٣٩٤)، كلهم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١١٢٢).

فمن التزم بها دخل الإسلام، وعموده الصلاة وهي الركن الثاني وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين، ثم يلي ذلك الزكاة والصيام والحج وبقية أوامر الله.

وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله؛ **لأن به صيانة الدين وحمايته**، وبه دعوة الناس إلىٰ دين الله وإلزامهم بالحق. فهو ذروة سنامه، من جهة ما تضمنه من حماية الدين والدعوة إلىٰ الحق.

والله أعلم





فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة التخريج	٥
ترجمة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز	٧
ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٩
تعريف بالمؤلف لفضيلة الشيخ ابن باز	١١
معرفة نبينا محمد ﷺ	١٢
الدعوة لدين الإسلام	١٣
الصبر علىٰ الأذىٰ في سبيل الله	١٣
آيات وعبر من سورة العصر	١٤
لماذا خُلِقْنَا	١٦
وجوب طاعة الرسول ﷺ	١٧
الله لا يرضىٰ الشرك	١٨
المؤمنون لا يوالون الكافرين	١٨
الحنيفية ملة إبراهيم	٢٠
أعظم ما أمر الله به التوحيد	٢٠
أعظم ما نهىٰ الله عنه الشرك	٢١
ما الأصول الثلاثة	٢١
الأصل الأول معرفة الله رب العالمين	٢٢
بما تعرف ربك	٢٣
أنواع العبادات التي أمر الله بها	٢٦

الموضـــوع	الصفحة

الدعاء مخ العبادة ٢٧
الاستغاثة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله من الأموات وغير القادرين علىٰ الإغاثة ٢٨
الخوف عبادة، ودليله: ٢٩
الرجاء عبادة، ودليله: ٣٠
التوكل عبادة، ودليله: ٣١
الرغبة والرهبة والخشوع عبادة، ودليلها: ٣١
الخشية والإنابة والاستعانة عبادة، ودليلها: ٣١
الاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر عبادة، ودليلها: ٣٢
الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام ٣٤
أركان الإسلام ٣٤
شهادة أن لا إله إلا الله وما تستلزمه ٣٥
شهادة أن محمدًا رسول الله وما تستلزمه ٣٥
إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ٣٥
صوم رمضان وحج بيت الله الحرام ٣٦
المرتبة الثانية: الإيمان ٣٧
المرتبة الثالثة: الإحسان ٣٨
الأصل الثالث: معرفة نبينا محمد ﷺ ٤٠
أول ما نبئ به ﷺ ٤١
ثاني ما نبئ به ﷺ ٤١
دعوته بمكة ﷺ ٤٢
الإسراء والمعراج ٤٢
هجرته ﷺ ٤٢
تعريف الهجرة ٤٣

الموضـــوع	الصفحة

الهجرة مشروعة إلىٰ قيام الساعة ٤٣
العهد المدني ٤٤
وفاته ﷺ ٤٤
الإيمان بالبعث والأدلة علىٰ ذلك ٤٤
أرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين ٤٥
أول الأنبياء والرسل نوح عليه السلام ٤٦
خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ ٤٦
الطاغوت، تعريفه وأنواعه ٤٧
العروة الوثقىٰ: لا إله إلا الله ٤٨
وجوب اتباع النبي ﷺ علىٰ جميع المكلفين من الإنس والجن في جميع بقاع الأرض ٤٨
رأس الأمر الإسلام ٤٩
ذروة سنام الإسلام: الجهاد في سبيل الله ٥٠
فهرس الموضوعات ٥١




تمت بحمد الله